Contents list available at: https://journals.ekb.eg/
Sohag Journal of junior Scientific Researchers
journal homepage: https://sjyr.journals.ekb.eg/
ISSN 2735-5543

مقال

صورة البطل الباحث عن ذاته المفقودة بين "هالة البدري" و "لطيفة الزيات"

نهى دياب*

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة سوهاج، سوهاج 82524، مصر
* الباحث المسؤول: Nohamhafez777@gmail.com

بيانات المقال
الاستشهاد المرجعي: نهى دياب (2023). صورة البطل الباحث عن ذاته المفقودة بين "هالة البدري" و "لطيفة الزيات"، *مجلة سوهاج لشباب الباحثين*، مجلد **3** (*4*)، 158-162.

تاريخ استلام البحث: 2023/01/11
تاريخ قبول ا لبحث: 2023/02/14
تاريخ نشر البحث:2023/03/02

https://doi.org/10.21608/sjyr.2023.289859

Publisher's Note: *SJYR* stays neutral regarding jurisdictional claims in published maps and institutional affiliations.

ملخص البحث

من المعروف أن الشخصية الروائية لا تكون خيالية بالمعنى الكامل، بل إنها تكون مزيجًا من الواقع والخيال، فلا يمكن أن تظهر أمام القارئ بالصورة المعبرة عن ذات المؤلف أو الروائي، فمن الممكن أن يذكر لنا الروائي مثلا شخصية واقعية، ولكنه يعرضها بصورة مغايرة بإضافة سمات لها أو مميزات تميزها، وبهذا نجد أن الشخصية الروائية يضعها الكاتب أو يوظفها، لأنها تحمل أفكاره وآراءه وتسير وفق نظرية معينة أو قضية محددة أطمأن لها وآمن بها وأراد أن يعبر عنها وسخر لها الحدث والزمان والمكان لإبرازها والسير في رحابها، ولذلك نجد أن الروائي المعبر عن الواقع يبدع في شخصية تكون قريبة من المتلقي أو القارئ، فالشخصية هي التي تتكلم بلسان المؤلف نفسه، وبدافع الحدث الذي وجدت فيه، وداخل الزمان الذي انبثقت منه متكئة على المكان الذي تتميز وتنمو فيه هذه الشخصية. ونجد أن شخصية البطل قد تناولته الكاتبات المصريات مبرزة صوره المختلفة المتطابقة أو المماثلة مع الواقع وكان من بين هذه الصور صورة البطل الباحث عن ذاته المفقودة الذي يدخل في صراع بين ذاته والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: البحث عن الذات المفقودة، صراع البطل، الذات، المجتمع.

1. المقدمة

نجد أنّ شخصية البطل الروائي تكون هي محور الصراع في أي عمل أدبي سواء أكان رواية أم قصة أم مسرحية، ويتسم بصفات تميزه عن باقي الأبطال ويتفاعل معهم في تحقيق ما يسمو الروائي إلى تحقيقه من حل للقضية أو الموضوع الذى يناقشه وبالصورة التي يريد معالجتها فلا يضعه دائما في دور النموذج الإنساني المثالي بل يضعه حسب ما يتراءى أمامه من نماذج في الواقع حيث "ما تزال صورة البطل الروائي في خيال القارئ المعاصر هي صورة الشخصية الحرة، المعارضة لانحدار الإنسان المتمسكة بالقيم المثالية، وقد تتمثل بوجه صحفي يخاطر بحياته ليكشف فضيحة سياسية، أو محقق يواجه تواطؤ رؤسائه في جريمة مالية.. فالرواية في كل عصر أدبي تحدد قوى الشر التي ستغالبها، وبالتالي ترسم صورة أبطالها [1].

ونجد أن الكتابة النسوية قد تحولت بعد منتصف القرن العشرين من مناداة بحقوق المرأة والمساواة بين الرجل والمرأة إلى كتابات تبرز فيها شعور فقد الذات على المستويين (الرجل والمرأة) والشعور بتشتت الذات وضياعها في مجتمع تحكمه الماديات وتحركه الآلات في عصر النهضة، فطغى على الكاتبات النسوية طابع البحث عن الذات.

1.1. أهمية البحث

رصد أهم القضايا التي ظهرت على الساحة من قضايا اجتماعية وسياسية واقتصادية، ومحاولة تتبع أعمال الكاتبات في طرح قضايا وإبراز المشكلات التي كانت تعانيها إبان فترة زمنية، خاصة بعد نصر أكتوبر وكشف ما هو مستور في عالم الكاتبات المبدعة الأدبي وواقعها المعاش، ودراسة هذا الموضوع تطرح مشكلات منهجية عديدة، ولكن إيماناً بأن الأدب غالبا ما يكون انعكاسا للمجتمع لذلك اتخذتُ المنهج التحليلي النقدي ليبرز القضايا الاجتماعية في هذا البحث. مفهوم الذات اصطلاحا "هو مجموعة الآراء والمعتقدات التي يكونها الفرد عن ذاته، من خلال وجوده في البيئة التي يعيش فيها" [2]. ويرى أريك فروم "أن الإنسان يسمو على كافة أشكال الحياة الاخرى، لأنه حياة تدرك ذاتها بذاتها، فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يمتلك القدرة على جعل ذاته موضوعا، فيقف بعيدا عن ذاته، ويتأمل ماهيته ويفكر فيما يحب وفى الصورة التي يرغب أن يكون على شاكلتها"[3].

أما في السرد الروائي فالذات تعنى "العنصر الذي يجعل المتكلمين في النص الروائي يبرزون خصوصية الذات المتكلمة، سواء على مستوى اللغة أو زاوية النظر والتفاعل مع الاحداث أو تشخيص الصراع الأبدي بين الفرد ومؤسسات الدولة والمجتمع" [4]. ومن خلال هذه التعريفات نستنتج أن الذات هي الفعل النفسي الذى يميز كل شخص عن الآخرين، ويحارب من أجل استعادتها، ولذلك نجد أن الكاتبات المصريات في الربع الأخير من القرن العشرين قد وقعن تحت براثن الكتابة عن فقد الذات وأخذن على عاتقهن عبء الوقوف بجانب أبطالهن لتحديد ماهيتهم واستعادة ذاتهم وكأنهن بهذه الأعمال تقفن أمام شباب من الجنسين قد ضاعت هويتهم وفقدوا ذاتهم خاصة إبان عصر الانفتاح، فمع بداية السبعينيات إلى أواخر التسعينيات، شهدت الرواية تطورًا وتنوعًا لم تعرف له مثيلا من قبل، ولم يكن ليحدث انتاج روائي بمعزل عن التغيرات التي ظهرت خلال هذه الفترة.

ونجد صورة للبطل الباحث عن ذاته المفقودة وسعيه لاستعادتها في رواية "السباحة في قاع قمقم " لـ "هالة البدري": حيث إن القارئ لهذه الرواية يجد منذ الوهلة الأولى تخبطًا في معنى العنوان فمن المتعارف عليه أن السباحة عالم واسع ملئ بالمرح والنشاط ورياضة تسبح ببطل السباحة في طريق طويل تحدد نهايته وطوله حسب طول الوقت لهذه البطولة وتجعل البطل تتفتح مداركه وأفكاره حول كل شيء في الطبيعة والواقع من حوله. ولكن من العنوان "السباحة في قمقم" نرى أن ابطال فريق السباحة في هذه الرواية تقوقعت حياتهم على مجرد السباحة فقط، فلا وقت للحب والمشاعر ولا تبادل الكلمات أو الحديث بين الفريق بعضهم البعض أو بين غيرهم من مترددي النادي حتى أصبحت حياتهم بلا معنى فكانوا مجرد منفذين لقواعد وتعليمات المدرب التي فرضها عليهم فجعلهم منفصلين عن الواقع.

وقد جعلت الكاتبة صوت "عبد الله" رفيق "ناديه" احدى بطلات الفريق هو الصوت الصارخ والمعبر عن كينونة الفريق والموضح لحياتهم، وما شابها من تعقيد وقوقعة على السباحة فقط يقول "... إذا كان ثمن البطولة هو ان يتحول الإنسان إلى عبد فهذه ليست بطولة، بل هي وقوع في هاوية الاستعباد والهزيمة. كيف؟! - أنتن سباحات جيدات، ولكن تسبحن في قمقم على قاع المحيط، لأن حياتكن الشخصية الحقيقية منفصلة تماما عن حياتكن كبطلات. لذة البطولة هي أن يمارسها الإنسان دون ان يكون في حياته انفصام عن المجتمع إلا في حالة واحدة هي أن يكون عضوا في تنظيم سري، ومعلوماتي أنكنّ لا تشتغلن بالسياسة. "اسمح لي بالاعتراض على وصفك لنا بأننا عبيد، إننا نعيش حياتنا، ولكن بالطريقة التي لا تفجع المجتمع من حولنا. قال: إن التضليل يكفي وحده للقضاء على نصف متعة الإنسان بحياته ولا تقنعيني بأن التضليل يحل مشكلة وأنا أعلم أن لكل فتيات فريق السباحة علاقات عاطفية بريئة ونظيفة ومعروفة، ولكن تنقصكنّ الشجاعة رغم أن كل واحدة منكنّ تحمل لقب بطلة!! [5]. فالحرب كانت بمثابة تغيير لحياة شعب بأكمله عانى مرارة الذل والعبودية من قبل المستعمر خاصة بعد هزيمة 67، وكأن الحرب وقعت لتغيير وضع البلاد وتحريرها من ناحية وتغيير أوضاع حياة الفريق وتصفية نفوسهم واختلاطهم بالواقع الحي من ناحية أخرى، فالحرب قد حركت ما بداخل نفوسهم من مشاعر وانفعالات مغلقة وصنعت منهم أبطالاً حقيقيين في خدمة المجتمع، حيث "ينفتح وعى هؤلاء الفتيات "الراوية التي تروى الرواية"، وشيرين، وناديه، وزينب، على بطل آخر حمل أمامهن شعلة المعرفة، فأفسد أمامهن بطولة فكرى الزائفة، الذي لا يجد نفسه إلا في ممارسة ديكتاتوريه على هؤلاء الفتيات الصغيرات"[6].

ويتضح هذا من قولهم مع بعضهم البعض "إن مكاننا ليس الحمام، ولكن أي مكان يخدم المعركة، هذا ما فكرت فيه، ووجدت نفسي أسرع إليكم؟ كانت كأنها فتحت بابا لانفعالات حبيسة في نفوسنا كنا بالفعل نريد أن نصنع شيئا، ولكننا كنا في حيرة من أمرنا سرعان ما اختلطنا بالأطباء والممرضات والمرضى، واكتشفنا أننا كنا في عالم آخر غير العالم الذي يعيشه شعبنا" [5]. فشعروا بأنهم خرجوا من شرنقة البطولة المزيفة إلى بطولة حقيقية شاهدوها بأنفسهم وأدركوها بعقولهم وكأنهم جزء لا يتجزأ فنجدهم يقولون عن الجنود الذين خاضوا الحرب "كنا نحن نستشعر أننا نمر بمرحلة شبيهة بما حدث لهم، كانت الحرب تكسبنا أيضا إلى صفها وتنسينا حياتنا الأولى وتصنع لنا أحلاما جديدة كانت تصوغها عبارات الجنود الجرحى من حولنا، مثل تحطيم دولة اسرائيل، وتحرير الأرض، وخلق حياة يرفرف عليها السلام"[5].

وأيضا قول "زينب" إحدى بطلات السباحة وقد شعرت بكيانها وهي داخل إحدى المستشفيات تساعد رجال الحرب الذين دافعوا عن وطنهم "منذ الأيام الأولى لمستشفى أمّ المصريين وأنا أشعر بنفس الشعور الذي به إنسان يفيق لتوه من كابوس ثقيل وأشعر بأن هناك ما أروع وأكبر من النادي الصغير والنادي الكبير ونوادي القاهرة السبعة جميعا الوطن الوطن"[5].

وفى النهاية نجد أن أبطال السباحة يعودون إلى النادي وقد تغيرت نظرتهم للحياة وللواقع بعدما شاهدوا كل ما حدث في البلاد، وانتصار أبطاله وشهدائه الذين ضحوا بحياتهم، "فالرواية تفجر وعى البطلة تجاه فكرة البطولة التي تضفي السعادة على الآخرين، وتعمل على تطوير حياتهن وتجميلها؟ أيكون البطل الحقيقي هو السباح الذي يصفق له جمهور النادي؟ أم أن البطل هو ذلك الشهاب الذي أضاء عقولهن الغضة بشرارة المعرفة والوعي"[6].

وأُغلقت الرواية وهم يشعرون بالحرية وقمة الحيوية في وطنهم "تحولنا إلى دفقات من ماء النيل تتداخل في موجات متماسكة تندفع بحيوية، تلتحم بما قبلها وما بعدها من موجات تغوص وتصعد وتفور وتتدفق إلى ما لانهاية"[5].

وبهذا نجد في هذه الرواية أن "المدرب" عمل على تعزيز العزلة دون أن يدري، وإن كان الاحتلال قد عمل على ذلك منذ أزمنة حيث عمل على تفتيت المجتمع المصري وتفتيت طبقاته فظهرت الطبقة الاقطاعية والطبقة المتوسطة والطبقة الكادحة ورغم

تحرير البلاد من قبضة الاحتلال البريطاني ومرورًا بنكسة 67 إلا أنه ظلّ هناك بعض من يستملح فكرة التقوقع والانعزال عن المجتمع مثل هذا المدرب ظنا منه أنه بهذه العزلة يفرض سياجا من النجاح لحصد البطولات المتتالية والمتعاقبة. وهذا ما نجح فيه المدرب حيث فرض عزلة تامة على جميع أبطال فريق السباحة، ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن فتقع الحرب ويذهب بعض أعضاء الفريق إلى الحرب.

ومن هنا تبدأ أيديولوجيات الفريق في التغيير والتبديل فيكتشف الجميع أنهم وقعوا فريسة للعزلة والتقوقع على النفس والذات وأنهم بعيدون عن المجتمع المصري وبدأ مسار حياتهم يتغير فاختلطوا بالواقع وتحول فريق السباحة إلى خلية نحل، فبين محارب وبين متطوع وبين متبرع كل قدم نفسه فداء للوطن.

أمّا "لطيفة الزيات "فنجدها تعرض صورة أخرى من فقد الذات في روايتها "صاحب البيت" فمن المعروف في المجتمعات العربية بصفة عامة والمصرية بصفة خاصة أن صاحب البيت هو رب الأسرة والزوج والعائل الوحيد لكافة أفراد أسرته، والمتحكم الرسمي في كل شئون البيت ومتطلباته ولكن اختلف هذا الأمر وانعدم هذا المعنى في رواية "صاحب البيت" ، حيث انتقلت البطلة مع زوجها المعتقل بعد هروبه إلى بيت كان صاحب هذ البيت هو المسيطر الرئيسي والمدبر لكل أموره "ذلك الشبح المجرد ممثلا رمزيا للقمع والحصار تصارعه من أجل أن تتخلص هي نفسها من عدم الاستعداد من الضعف الداخلي من الذعر المقيم الذى ورثته عن أمها ومن تربيتها التقليدية التي علمتها الازدواج والمراوغة واللعب بالأفكار، لإخفاء الحقيقة والبقاء الأبدي في إطار الصورة التي يرسمها المجتمع التقليدي للمرأة"[7].

فتشعر بأنها تركت بيتها وذهبت إلى سجن، ولكنه ليس كأي سجن عادى بل هو سجن للنفس والمشاعر والأحاسيس، أو أنه "بيت تحول إلى زنزانة بفعل القهر الخارجي الذي يحيط به من كل ناحية" [6]. فهي مع زوجها في البيت، ولكن إقامتهما كانت مليئة بالقلق والتوتر بسبب خوفهما من انكشاف أمر هروب الزوج "محمد" لتعارضه مع الحكومة بالإضافة إلى ترقب صاحب البيت لهما، كل ذلك جعل حياتهما مليئة بالصراع الذي تحول إلى صراع داخلي يعصر كل ما في قلوبهما من مشاعر وأحاسيس ويحولها إلى بركان وروح بلا جسد وحياة ضائعة لا معنى لها ولا تدري إلى أين سينتهي بهما المصير تقول "أرجوك يا حبيبي لا تضيعني، لا تذروني حفنة من الرماد، ابق على كياني أنا من أنا لأنك تعرفني وإلا خبرني من أنا؟ اسم، جسد بلا روح بلا أعماق بلا جذور؟"[8]. وهنا نجد البطلة تحاول أن تبحث عن ذاتها من خلال حياتها مع زوجها، هذه الحياة التي تحولت إلى صراع يقتل معنى الحرية ومعنى التعبير عن الذات، وأصبحت السيطرة إلى صاحب البيت الذى يجسد كل صور القمع النفسي والعصبي ففي "صاحب البيت تعيش البطلة وَهْم المطلقات، الحب المطلق، والسعادة المطلقة، والحرية المطلقة، وتتوزع متعثرة بين الأصوات داخلها: صوت صاحب البيت يستحضر كافة سلطات القمع، سلطة الأب، وسلطة المعلم ذي العصا، وسلطة الواعظ يتوعد بعذاب النار، وصوت النكوص تجسده الام والجدة تدعوان إلى العودة إلى البيت القديم ... وفى مقابلها جميعا صوت الواقع بما يفرضه من مسئوليات[9] .

ولذلك نجدها تحاول مرارًا وتكرارًا التكيف مع هذا الواقع الذي يفرض عليها كل أنواع القيود وحاولت الخروج من هذا البيت والرجوع إلى البيت القديم، ولكن شعورها ومسئولياتها تجاه زوجها جعلها ترجع إلى هذا البيت وتترك بيتها الأصلي لتكون بجوار زوجها لتحقق معه حريتها وذاتها، ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن فقد رجعت لتجد زوجها قد تم القبض عليه فما كان منها إلا أن تنقض وتنشب أنيابها ضد صاحب البيت باعتباره المسؤول الأول والأخير عما حدث لزوجها وصديقه" رفيق". ففي "النهاية تقتصر حريتها على مرادها في مقتل صاحب البيت الذي يجسد القهر، والظلم، والضياع"[10].

وتنتهي الرواية وقد أصبحت البطلة في طريق مغلق ومظلم لا تدري ماذا تفعل؟ وكيف تُكمل حياتها بعد أن فقدت ذاتها وحياتها بفقدان وغياب زوجها.

2. النتائج

عمدت هذه الدراسة إلى رصد ملامح صورة البطل الباحث عن ذاته المفقودة، وأرادت الكشف عن دلالات تلك الملامح ورصد التغيرات التي اعترتها في ضوء الرواية النسائية، فجاءت نتائجها كما يلي.

لقد استطاعت المرأة الكاتبة من خلال ارتيادها الفن الروائي أن تقدم إضافات جديدة على مستوى الموضوعات المتناولة التي طرقت من خلالها عوالم الأنثى، وما يلتصق بواقعها من تناقضات، وعرض للأساليب الروائية التي سخرتها لاقتناص قضايا واقعها والتعبير عنها. إن الروائيات دخلنّ عالم الكتابة بحثًا عن هويتهن المفقودة، وتوضيح علات ومشكلات مجتمعهن، محاولة بذلك.

بيّنت معاناة الأدب النسوي في مجتمع طغى عليه التعصب للرجل وكيف أن الكتابة النسوية قد ظهرت بقوة لثبت أنها في اتجاه مواز للكتابة الذكورية.

عمدت الكاتبات إلى خرق النظم الاجتماعية السائدة التي عانين منها في هذه الفترة الزمنية موضوع الدراسة بهدف تعرية المسكوت عنه لتواجهن الآخر بأزمته.

3. التوصيات والدراسات المستقبلية

ومن خلال ما سبق توصي الدراسة بالآتي
ضرورة تتبع الأعمال النسائية الأحدث وذلك لتنجلي الرؤية وتتضح صورة قضايا الأدب النسائي.
الكشف عن باقي القضايا النسوية التي عالجتها الأديبات حيث إن هناك العديد من القضايا والمشكلات التي لم ينفض عنها غبار الثرى حتى الآن.
الأدب النسوي مازال بكرا ويحتاج إلى العديد من الدراسات الأدبية التي تعالج جميع جوانبه النقدية والفنية.

قائمة المراجع

[1] زيتوني، لطيف. (2002). معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، بيروت، ط1.
[2] إسماعيل سفر، تامر. (بدون سنة نشر). الذات والهوية في سيكولوجية الشخصية، مجلة المعرفة، العدد455، السنة 40، وزارة الثقافة، دمشق، سوريه.
[3] نشواتي، عبد الحميد. (1980). مفهوم الذات، تاريخه وتطوره، مجلة المعرفة، العددان221/220 وزارة الثقافة، دمشق، سوريه.
[4] برادة، محمد. الذات في السرد الروائي (دراسات نقدية)، أزمته للنشر والتوزيع، ط 1.
[5] البدرى، هالة. (1988). رواية السباحة في قاع قمقم، تقديم/د0يوسف إدريس، كتاب الغد، مطابع روز اليوسف، الطبعة الأولى.
[6] موسى، شمس الدين. (1997). تأملات في إبداعات الكاتبة العربية، الهيئة المصرية العانة للكتاب.
[7] خصاونة، عتبة محمد أحمد. (2006). لطيفة الزيات كاتبة وناقدة، اطروحة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف/د إبراهيم خليل، الجامعة الأردنية.
[8] الزيات، لطيفة. (1994). صاحب البيت، دار الهلال.
[9] عاشور، رضوى. (2020). لطيفة الزيات، www.latifaalzayyat.net
[10] خلف، عبد الخالق قاسم. (2004). جماليات الرواية النسائية في مصر ظواهرها وتطورها الفني، أطروحة ماجستير، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة حلوان، القاهرة.

English abstract

Article

The image of the hero searching for his lost self between "Hala Al-Badri" and "Latifa Al-Zayyat"

Noha Diab*

Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Sohag University, 82524, Sohag, Egypt
Corresponding author: nohamhafez777@gmail.com

Abstract

It is known that the fictional character is not fictional in the full sense, but rather it is a mixture of reality and imagination, so it cannot appear before the reader in the image that expresses the same author or novelist. On the other hand, we find that the narrator does not exaggerate the behavior and actions of the character and does not make them far from reality and thus does not affect the reader or feel them because the “fictional” character must not be extraordinary, defying reality and transcending it, nor comic that degenerates from reality and shrinks from it. Rather, it should be a mixture of good and bad, like the ordinary characters that we see in our daily lives. Sometimes, when the character shines, the fictional work is called the character of the hero. How many works hide the literary pattern of events, time, and place, and the hero remains in the imagination of the reader? And the hero in the fictional texts is the artistic hero, and he is, as Ali Ayad refers to him, saying: He is “that person who plays a major role in the story or the play and whom himself includes qualities that readers or viewers sympathize with, excluding other characters.

Keywords: searching for the lost self, The hero's struggle, self, society.